مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (4)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (4) 2015

الشخصية والعوامل الاجتماعية عند إيرك فروم
دراسة تحليله

الدكتور هاني عمران*
مصطفى أحمد الشعار**

(تاريخ الإيداع 24 / 2 / 2015. قبل للنشر في 7 / 7 / 2015)

□ ملخّص □

قدم إيرك فروم نظرية في الشخصية الإنسانية انطلق فيها من المجتمع والمحيط الاجتماعي، ويمكن القول أن نظريته تلك إنما جاءت في سياق مراجعاته النقدية لنظرية التحليل النفسي التي أولت اللاشعور والغرائز الدور الأكبر في تركيب الشخصية الإنسانية، وقد اتخذ البحث الحالي من العامل الاجتماعي ودوره في تركيب الشخصية عند فروم موضوعاً للتحليل للوقوف على النقاط التالية: عناصر الشخصية الاجتماعية ومكوناتها عند ايرك فروم جدلية الشخصية الاجتماعية في إطار اجتماعي–اقتصادي و دينامية العلاقة بين الفرد والمجتمع بناء الشخصية عند فروم

الكلمات المفتاحية: الشخصية – البناء الاقتصادي – الاجتماعي– السلوك

* **أستاذ مساعد– قسم علم الاجتماع– كلية الآداب– جامعة دمشق– سورية.**
** **طالب دراسات عليا (ماجستير)– قسم علم الاجتماع– كلية الآداب– جامعة دمشق– سورية.**

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (37) العدد (4)2015
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (37) No. (4) 2015

Human Personality and Social Factors at Eric Fromm

Dr. Hanei Aumran*
Mustafa Alshaar**

(Received 24 / 2 / 2015. Accepted 7 / 7 / 2015)

□ ABSTRACT □

Eric Fromm presented a theory in human personality launched based on the community and social environment. It can be said that this theory came in the context of his critical reviews to the theory of psychoanalysis, which gave the unconscious and instincts the biggest role in the formation of human personality. The current research has taken the social factor and its role in the synthesis of personality (according to Fromm) a subject for analysis to determine the following points :The element of social personality and its ingredients at Fromm framework and the dynamic nature between the individual and the society Personality building according to Fromm

Keywords: Personality- Economical- Sociality- Behavior.

*Associate Professor, Department of Sociology, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University, Syria.
**Postgraduate Student, Department of Sociology, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University, Syria.

مقدمة:

قدم فروم اتجاهاً جديداً في دراسة الشخصية الإنسانية، وذلك عندما ابتعد عن حتمية فرويد وأكد أهمية المجتمع والتجارب الاجتماعية في تركيب الشخصية وتحديد السلوك الإنساني. ويمكن اعتبار نظرية فروم في الشخصية من أبرز المراجعات النقدية لنظرية فرويد حيث تناول فيها كثير من المفاهيم المفصلية في تركيب الشخصية والتي سيقف البحث عليها ليعيد قراءتها بلغة التحليل الاجتماعي. وأول هذه المفاهيم هو مفهوم الشخصية الاجتماعية عند فروم ومحدداتها، كما سيتناول البحث علاقات البناء الاجتماعي–الاقتصادي بالشخصية وطبيعة هذه العلاقات وأثرها في الشخصية، ومن ثم سوف نتعرض لتركيب الشخصية عند إيرك فروم ونقف على هذه المكونات بشيء من التحليل والتفصيل. لنخرج من ذلك ببعض النتائج حول نظرية فروم الاجتماعية والتي تغني دراسات الشخصية.

مشكلة البحث:

لما كانت الشخصية الإنسانية كموضوع للدراسة أسيرة تيارين عريضين ينادي أحدهما بدور الوراثة البيولوجية بينما يؤكد الآخر على دور البيئة الاجتماعية، ولما كان مسار دراسة الشخصية قد شهد استحكام أحد هذين الاتجاهين فيما مضى، فمن الممكن القول الآن أن تطور دراسات الشخصية قد تجاوزت هذه الأحادية السلبية إلى اتجاه ثالث يأخذ بمنطق التعددية الجدلية عند النظر في الشخصية الإنسانية سواء من جهة تكوينها وخصائصها أو من جهة عملياتها. وما بين الحتمية البيولوجية عند فرويد والحتمية الاجتماعية عند دوركهايم يقف إيرك فروم كممثل لاتجاه ثالث يمكن وصفه بالمتوسط الموضوعي بين حتميتين أحاديتين. على أن ورود نظرية فروم في سياق المراجعات النقدية لنظرية فرويد قدمها بالتقابل من تلك الأخيرة مما جعلها تبدو أقرب للاتجاه الاجتماعي من أي اتجاه آخر. وهذا ما سيتناوله البحث بالتحليل للإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما هو مفهوم الشخصية الاجتماعية عند إيرك فروم؟
- كيف يؤثر البناء الاجتماعي– الاقتصادي في الشخصية الإنسانية؟
- ما هو بناء الشخصية عند إيرك فروم؟

أهمية البحث وأهدافه:

تتجلى أهمية الدراسة في كونها تسلط الضوء على دور البعد الاجتماعي في تكوين الشخصية، وذلك من خلال الوقوف على نظرية فروم الاجتماعية وتحليلها تحليلاً يتحرى المكونات الاجتماعية في تركيب الشخصية الإنسانية.

منهجية البحث:

تعتبر الدراسة الحالية من الدراسات النظرية التحليلية التي تستخدم منهج تحليل المضمون بشكله النوعي للوقوف على نظرية فروم حول الشخصية وتحليلها واستكشاف مختلف جوانبها في ضوء ما تم اعتماده من كلمات مفتاحية يمكن القول بان وجهة نظر فروم في الشخصية يساعدنا على ذلك نصوص مختارة سواء من مؤلفات فروم نفسه او بعض ما كتب حولها.

النتائج والمناقشة:

عناصر الشخصية الاجتماعية ومكوناتها عند ايرك فروم

في ملحق كتابه الخوف من الحرية –والذي تناول فيه العلاقة المتداخلة بين العوامل الاجتماعية–الاقتصادية والسيكولوجية والإيديولوجية– في تكوين الشخصية يشير إيرك فروم إلى ما أسماه الشخصية الاجتماعية فيما عنونه بـ"بالشخصية والعملية الاجتماعية" فيقرر: " في دراسة ردود الأفعال السيكولوجية لجماعة اجتماعية، فإننا نتناول مكون شخصية أعضاء الجماعة، أي الأشخاص الفرديين، وعلى أية حال لسنا معنيين بالخصوصيات التي تجعل هؤلاء الأفراد يختلف كل منهم عن الآخر، بل إننا معنيون بذلك الجانب من مكون الشخصية المشترك في معظم أعضاء الجماعة. نستطيع أن نسمي هذه الشخصية باسم **الشخصية الاجتماعية**. ونحن في وصفنا لها إنما نتناول كل المعالم التي تشكل في تكونها الخاص مكون شخصية هذا الفرد أو ذاك. إن الشخصية الاجتماعية لا تضم سوى نخبة من المعالم، **النواة الجوهرية لمكون شخصية معظم أعضاء الجماعة التي تطورت نتيجة التجارب الرئيسية ونمط الحياة المشترك في تلك الجماعة**. وبالرغم من أنه ستكون هناك دائماً " انحرافات" لها مكون شخصية مختلف كلية، فإن مكون شخصية معظم أعضاء الجماعة هو تنويعات لهذه النواة، تحدث بسبب العوامل العرضية الخاصة بالميلاد وتجربة الحياة وهي تختلف من فرد لأخر. فإذا أردنا أن نفهم فرداً فهما تاماً فإن هذه العناصر المختلفة لها أكبر أهمية. وعلى أية حال، إذا أردنا أن نفهم كيف تتسرب الطاقة الإنسانية وتعمل كقوة منتجة في نظام اجتماعي معين، إذن، فإن الشخصية الاجتماعية تستحق أكبر اهتمام من جانبنا." [فروم،1972،ص212–212]

يمكن القول أن محاولة فروم تأكيد دور العناصر الاجتماعية في تشكيل الشخصية هو ما وصل به إلى مفهوم الشخصية الاجتماعية، إن وجود سمات عامة بين أفراد مجتمع ما مؤسسة على قيم هذا المجتمع وثقافته ونمط حياته والتي تتجلى من خلال الشخصية الاجتماعية يؤكد أهمية الوسط الاجتماعي والخصوصية الثقافية في رسم معالم شخصية عامة لدى جميع أعضاء المجتمع.

إن فروم هو أول من اهتم بالطابع الاجتماعي للشخصية، وأكد أهمية المجتمع وظروفه الاجتماعية والسياسية في تغير القدرات الفطرية إلى قدرات اجتماعية تعتبر نواة الشخصية الاجتماعية التي يشترك فيها مجموعة من أعضاء الثقافة الواحدة، والتي تتباين من شخص لآخر داخل الثقافة الواحدة. ففي تحليله للجانب النفسي لمختلف المجتمعات التاريخية، يستنتج فروم أن هناك سمات ثابتة في كل منها، فالأفراد في أي مجتمع بينهم شيء مشترك يوجد في خصائصهم النفسية، على الرغم من وجود اختلافات نفسية بين الأفراد. هذا العنصر المشترك يسميه فروم الشخصية الاجتماعية. ويرى فروم أنه توجد في كل مجتمع بنية شخصية مشتركة بين غالبية جماعات وطبقات المجتمع. وهذه الشخصية هي النواة النفسية للفرد التي تشكل سلوكه، وانفعالاته، وأنماط تفكيره، أي إدراكه الكلي للعالم الخارجي وعلاقته مع هذا العالم.

إن وظيفة الشخصية الاجتماعية برأي فروم هي أن تصوغ وتوجه الطاقة الإنسانية داخل المجتمع بحيث تستهدف استمرار ووظيفة المجتمع. ولذلك فإن أهمية الشخصية الاجتماعية تتوقف على واقع أنها تتيح للفرد التكيف مع متطلبات المجتمع، فالشخصية بالمعنى الدينامي، هي شكل نوعي فيه تتشكل الطاقة البشرية بالتكيف الدينامي للحاجات الإنسانية مع النمط الخاص للوجود لمجتمع معين. إن شكل هذا التكيف وبالتالي الشخصية الاجتماعية السائدة، يتحددان عند فروم بنمط البنية الاجتماعية السائدة. إن الإنسان بتكيفه مع الظروف الاجتماعية إنما يطور المهام الموضوعية التي عليه أن يتطابق معها في المجتمع، وعلى ذلك فالشخصية الاجتماعية تبطن الضرورات الخارجية ومن

ثم تسخر الطاقة الإنسانية من أجل نظام اقتصادي واجتماعي معين. وإذا كانت شخصية الفرد تتطابق، بشكل أو بآخر، مع الشخصية الاجتماعية، فإن الدوافع السائدة في شخصيته تؤدي به إلى عمل ما هو ضروري بالنسبة له، لذلك فالإنسان بتكيفه مع الظروف الاجتماعية إنما يطور تلك المعالم التي تجعله يرغب في أن يتصرف بالشكل الملائم، ومن ثم فإذا كانت شخصية غالبية الأفراد في مجتمع معين –أي الشخصية الاجتماعية– تتكيف مع المهام الموضوعية للظروف الاجتماعية السائدة التي على الفرد أن يتوافق معها في المجتمع، فإن طاقات الأفراد تتعدل على نحو يجعلها قوى إنتاج تساعد على أداء المجتمع لوظائفه. انظر [عباس،1990،ص38–40]

لا بد من الاعتراف بظاهرة الشخصية الاجتماعية على نحو ما قدمها فروم، فالمجتمع بقيمه وثقافته ونمط حياته بل ومن خلال ظروف وجوده عامة لابد وأن يضفي خصائصه على أفراده ويطبعهم بطباعه حتى لتبدو الشخصية الفردية–في أحد مظاهرها على الأقل– كامتداد لشخصية المجتمع، وهذا بالضبط ما عناه فروم من الشخصية الاجتماعية.

للشخصية عند فروم مظهران: الأول: الشخصية الفردية هي مجموعة العوامل البيولوجية الفطرية التي تأثرت بالتربية الأسرية والسمات التي ترتبط بالشكل الخاص لبناء شخصية الفرد. والمظهر الآخر أو الشخصية الاجتماعية: وهي الشخصية المشتركة بين أفراد المجتمع كله وهي تعبير عن تأثير المجتمع في الشخص، وأيضا تأثير الثقافة فيه، من أجل تحقيق التوافق. وهي تتكون من مجموعة من السمات المتفق عليها والمقبولة اجتماعاً. ويؤكد فروم أن الانسان مخلوق يخضع لتأثير المجتمع وعملية التربية. فالتربية عامل هام في طبع الانسان بالمثل والمعايير الحضارية التي ترفع الإنسان من المستوى الحيواني إلى المستوى الاجتماعي وقد حدد فروم الغرض الأول للتربية، وبين أنه إمداد الفرد بالمعرفة التي يحتاجها ليسلك سلوكاً مقبولاً في المجتمع، ولتشكيل شخصيته حسب القوالب التي يضعها المجتمع. انظر [فرح،1989،ص48–49]

ويذهب فروم بالشخصية الاجتماعية أبعد من ذلك فيبين دورها الدينامي في العملية الاجتماعية. كذلك يشير فروم إلى تأثير الشخصية الاجتماعية في عمليات التفكير والشعور والفعل والسلوك، وكأنها نوع من الضمير الجمعي الذي يطبع تفكير الأفراد وسلوكهم.

" إن مفهوم الشخصية الاجتماعية هو مفهوم مفتاح لفهم العملية الاجتماعية. الشخصية الاجتماعية بالمعنى الدينامي لعلم النفس التحليلي هو شكل نوعي فيه تتشكل الطاقة البشرية بالتكيف الدينامي للاحتياجات الانسانية مع النمط الخاص للوجود لمجتمع معين. والشخصية بدورها تحدد تفكير ومشاعر وفعل الأفراد. وتبين هذا بأنه صعب نوعاً ما بالنسبة لأفكارنا لأننا جميعاً نميل إلى الاشتراك في الإيمان التقليدي بأن التفكير هو تماماً فعل عقلي ومستقل عن النسيج السيكولوجي للشخصية. وعلى أية حال، ليس الأمر هكذا. إن الأفكار بجانب أنها عناصر منطقية محضة واردة في فعل التفكير تتحدد إلى حد كبير بمكون شخصية الشخص الذي يفكر. وهذا يصدق على الكل المعتقد من المعتقدات أو المذهب نظري وكذلك بالنسبة للمفهوم المفرد مثل الحب والعدل والمساواة والتضحية. فكل من مثل هذا المفهوم وكل مذهب له قوام انفعالي أو عاطفي وهذا القوام كامن في مكنون شخصية الفرد." [فروم،1972،ص222]

من الواضح أن الشخصية الاجتماعية تتشكل وتنمو في سياق اجتماعي يضفي جل خصائصه على خصائص تلك الشخصية ويطبعها بقيمه وثقافته واتجاهاته. وفي تحليله لطبيعة هذا التشكل لا يجد فروم بداً من الحديث عن التنشئة الاجتماعية. "يندمج الإنسان في العالم الذي يعيش فيه ويحقق انتمائه إلى المجتمع، ويرتبط به من خلال عمليتين، أولاهما عملية اكتساب واستيعاب الأشياء وتعرف هذه العملية بعملية الامتصاص assimilation، والعملية

الأخرى وهي ارتباط الانسان بذاته والآخرين وتعرف هذه العملية باسم عملية التنشئة. وتأكيد فروم لعملية التنشئة الاجتماعية يكشف لنا اتجاهه المخالف لفرويد الذي لم يهتم بهذه العملية. وهاتان العمليتان مرتبطتان سوياً ويحددان طبيعة ارتباط الفرد بالمجتمع، ويصيغا معاً طباع الشخصية الاجتماعية." [فرح،1989،ص49]

وقبل الحديث عن التنشئة الاجتماعية يبدأ فروم بتعريف التربية وذلك بالنظر إليها من زاوية العملية الاجتماعية على النحو التالي: الوظيفة الاجتماعية للتربية هي تأهيل الفرد لأداء الدور الذي عليه أن يلعبه فيما بعد في المجتمع، أي تعديل شخصيته بطريقة تقارب الشخصية الاجتماعية وأن تتطابق رغباته مع ضرورات دوره الاجتماعي والمذهب التربوي لأي مجتمع إنما يتحدد بهذه الوظيفة. لهذا لا نستطيع أن نفسر بناء المجتمع أو شخصية أعضائه بالعملية التربوية، ولكن علينا أن نفسر المذهب التربوي بالضرورات المترتبة على البناء الاجتماعي والاقتصادي لمجتمع معين. إن مذاهب التربية هامة للغاية حيث أنها تمثل الأساليب التي بها يتعدل الفرد حسب الشكل المطلوب، يمكن أن تعد وسيلة تتحول بها المتطلبات الاجتماعية إلى صفات شخصية. وبينما نجد أن التقنيات التربوية ليست هي علة النوع الخاص للشخصية الاجتماعية، فإنها تشكل ميكانيزماً من الميكانيزمات التي تتشكل بها الشخصية. بهذا المعنى فإن معرفة وفهم المذاهب التربوية جزأن هامان في التحليل الكلي لوظيفة المجتمع. [فروم،1972،ص228]

تجدر الاشارة هنا إلى أن فروم لم يميز بين التربة والتنشئة الاجتماعية وهذا يتفق مع وجهات نظر غالبية التربويين الاجتماعيين في هذا الخصوص أمثال الدكتورة أمل دكاك وفيصل عباس.

جدلية الشخصية الاجتماعية في إطار اجتماعي–اقتصادي، و دينامية العلاقة بين الفرد والمجتمع .

" إن ثمة اعتماداً متبادلاً بين بنية الشخصية الاجتماعية للإنسان العادي من جانب، والبنية الاقتصادية الاجتماعية للمجتمع الذي يعيش فيه من جانب آخر. وأنا أطلق تعبير "الشخصية الاجتماعية" على الاندماج بين الدائرة النفسية للفرد والبنية الاجتماعية الاقتصادية...وتعمل البنية الاقتصادية للمجتمع على تشكيل الشخصية الاجتماعية لأعضائه بحيث تجعلهم يرغبون في فعل ما يجب عليهم أن يفعلوه. وفي الوقت نفسه تؤثر الشخصية الاجتماعية في البناء الاجتماعي الاقتصادي، حيث يمكن أن تكون قوة لاحمة تساعد على مزيد من استقرار البنية الاجتماعية، أو تتحول في –ظروف خاصة– لتصير قوة تفجير تعمل على تحطيم البنية الاجتماعية" [فروم1987،ص125–126]

هذا النص لفروم هو منطلق تحليله لما يمكن أن نسميه بالعلاقات الجدلية للشخصية الاجتماعية في إطار البنية الاجتماعية–الاقتصادية. ذلك أن مفهوم الشخصية الاجتماعية المحكوم بتلك البنيات الاجتماعية–الاقتصادية على نحو ما قدمها فروم لابد وأن تدخل معها في علاقات معينة ذات تأثيرات مختلفة في إطار جدلي عام.

وفي تحليله لتلك العلاقة بين الشخصية والبنية الاجتماعية يشير فروم الى انها لا يمكن أن تكون ساكنة أبدا لأن طرفي العلاقة صيرورتان دائمتا التغير. و أي تغيير يطرأ على أحد طرفي العلاقة يعني تغيراً فيهما معاً. ويعتقد كثير من الثوريين السياسيين أنه يجب أولاً إحداث تغيير جذري في البنيتين السياسية والاقتصادية ليعقب ذلك، كخطوة تالية تكاد تكون لازمة تغيير في عقلية الإنسان. ومن جانب آخر يذهب آخرون إلى أنه يجب أولاً إحداث تغيير في طبائع البشر، وفي وعيهم وقيمهم وشخصيتهم، وبعدئذ يمكن بناء مجتمع إنساني حقيقي. انظر [فروم 1987، ص126–127]

يمكن أن نلاحظ أن نظرة فروم للشخصية نظرة علم اجتماعية ديناميكية إذ أنه يرفض النظرة الستاتيكية لأي من الشخصية أو البناء الاجتماعي وإنما يحكم تلك النظرة منطق التغير والحركة الدائمة عند عدة مستويات، شخصية واجتماعية واقتصادية.

لقد اتجه فروم اتجاهاً جديداً في التحليل النفسي عندما بين أن الإنسان يرتبط بالمجتمع ارتباطاً ضرورياً، من خلال نشاطه الانتاجي، والعمل هو أساس هذه الرابطة، فالإنسان يجب أن يعمل ليعيش ويحقق شخصيته كموجود اجتماعي مستقل.

وبالعمل يرتفع عن مستوى الحيوانية، ويتحرر من الطبيعة وقيودها، ويؤكد نفسه ككائن منتج واجتماعي. ويؤدي العمل الذي يقوم به الإنسان مع غيره من الناس إلى تغير الظروف المحيطة به، وتغيير خصائصها، كما يدفع العمل الإنسان إلى تغير ذاته وتكييف شخصيته بالنمط الخاص للحياة. فالعمل هو أساس ارتباط الإنسان بالآخرين والعالم المحيط به، وهو ذو قيمة اجتماعية واقتصادية، إذ يحرر العمل الإنسان من قيود الطبيعة وسيطرتها عليه، كما يعبر عن قدرة الإنسان الخلاقة وسيطرته على الطبيعة وإعطائه قيمة ذاتية.

بناء الشخصية والمحددات الاقتصادية عند فروم

يفسر فروم الإنسان بعوامل اجتماعية واقتصادية وهو يرى أن قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج يحددان شخصية الفرد وطبيعة الأخلاق وأنماط السلوك، وينكر فروم الاتجاه اللبيدي في تفسير السلوك الإنساني، ويرى أن القوى الدافعة لسلوك الإنسان تنبع من ظروف وجوده الاجتماعي. فالتنظيم الاقتصادي والسياسي للمجتمع والبناء الداخلي للعلاقات الاجتماعية، والتأثير المتبادل بين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، كلها عوامل تحدد أفعال الأفراد ، وتساعد على تكوين العناصر المكونة لبناء الشخصية والتي تدفعها إلى القيام بفعل معين في مواقف معينة، فالمجتمع إذن هو الذي يكون الشخصية ويحدد بناءها، ونموها، غير أنه لا يمتص الشخصية كلها. إن طبيعة الإنسان وانفعالاته وأشكال قلقه هو نتاج حضاري. غير أن الإنسان لا يصنعه التاريخ فحسب، فالتاريخ يصنعه الإنسان أيضاً. حيث أن طاقات الإنسان المشكلة هكذا في أشكال نوعية تصبح بدورها قوى منتجة تعدل من العملة الاجتماعية انظر [فرح، 1989 م ص 47].

من الواضح أن فروم قد قدم نظريته في الشخصية بالتركيز على البعد الاجتماعي ومبلغ أثره في تركيب الشخصية الإنسانية. ويمكن القول أن معظم دارساته في هذا السياق إنما كانت تتقصى هذا البعد الاجتماعي وتستكشف دور المحيط الاجتماعي في بناء الشخصية وصفاتها.

إن الباحث في نظريات الشخصية يمكن أن يلاحظ الانعطاف العلمي الكبير الذي أحدثته نظرية فرويد وذلك باكتشافه عالم جديد ومكون آخر في الشخصية ألا وهو اللاشعور أو اللاوعي والذي بنى عليه فرويد كثيرا من جوانب الشخصية التي عزا دراستها –في كثير من الأحول– بدوافع غريزية لاشعورية. لكن هذا الانعطاف لم يدم طويلاً ولم يلبث أن وقع داخل دائرة النقد العلمي، ويمكن القول أن إيرك فروم هو أبرز هؤلاء النقاد الذي قدم نظرية في بناء الشخصية تعبر عن اتجاه متطور في التحليل النفسي. " وانطلاقاً من موقفه اللاليبدي رفض العناصر المكونة للشخصية الفرويدية، وقدم ثلاثة عناصر أخرى بدلاً منها هي الذات والضمير والسمات." [فرح،1989،ص50]

1_الذات. تعد الذات أول العناصر المكونة للشخصية عند فروم، وهي نتاج للتجارب الاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها الفرد وليست مجرد تصور، وإنما تنظيم نفسي يتكون من مجموعة من الوظائف الاجتماعية و الاقتصادية التي يقوم بها الشخص منذ طفولته. وقد بين فروم أن إحساس الإنسان بالذات ينبع من التجربة مع ذاته كموضوع للتجارب والتفكير والشعور والقرارات والأحكام ولاتصال. ويولد العجز عن أداء هذه الوظائف الإحساس العميق بالقلق. فالذات ليست عنصرا وراثياً، بل تنشأ نتيجة التجارب الاجتماعية والاقتصادية، ويدعم الاحساس بالذات أثناء عملية الانفصال عن الروابط الأولية التي يرتبط بها الإنسان في بداية حياته، ويحدث هذا نتيجة إحساس الفرد بالانتماء إلى

الآخرين وتوافقه مع واقع الأشياء ومن دوره الاقتصادي والسياسي، ومن دوره كإنسان مفكر محب. وإدراك المرء لذاته عملية تتم تدريجياً، ولا يعي الإنسان بذاته وعياً كاملاً ألا عندما يفهم أن العالم الخارجي شيء منفصل ومستقل ومختلف عنه. وقد أكد فروم القيمة الحقيقية لحب الذات، وبين أن الشعور بالذات جزء من الشعور بالانتماء إلى الجماعة والارتباط بالعالم انظر [فرح، 1989 م ص 49].

والذات عند فروم منبع الصراعات التي تتوالد نتيجة محاولة الإنسان التوافق مع ذاته من جهة، والارتباط مع الأشخاص الآخرين حوله من جهة أخرى. حيث يولد هذا الصراع نتيجة محاولة الذات الانعزال عن الجماعة لتحقيق الفردية، إلا أن الذات تدرك أن هذا الانعزال لا يحتمل، فالإنسان لأسباب اقتصادية وتاريخية يبحث عن معنى الحياة والسعادة في صورة الانتماء إلى الآخرين. غير أن الانتماء إلى الجماعة يولد نتائج عكسية، إذ يتطلب من الإنسان التخلي عن حريته الشخصية من أجلها تلك الحرية التي يسعى بدأب إلى تأكيدها.

ويرى فروم أن الإنسان لن يستطيع التوفيق بين طرفي هذه المعادلة، أي بين تحقيق ذاته والارتباط بالعالم الخارجي، إلا إذا حقق الشرطين الآتيين: أولهما دوام إنتاجه، لأن توافقه مع البيئة ينشأ من قيمته الإنتاجية والتي تشعره بأهميته في المجتمع. وثانيهما التعاون مع الآخرين وإضفاء الحب عليهم وإحساسه بحبهم وتعاونهم. وهذان الشرطان ضروريان لتماسك الشخصية وتحقيق الارتباط بالعالم والاهتمام به.انظر [فرح،1989،ص50-51]

وإذا كانت الذات بمعنى الكينونة الفردية الخاصة كأحد مكونات الشخصية عند فروم، ليست مستقلة أو حيادية بالنسبة للمجتمع والتجارب الاجتماعية، فهذا يؤكد بشكل واضح على سعي فروم استقصاء كل تأثير، وكل أثر يتركه المجتمع في شخصية أبنائه. فمن خلال عرضه للذات كأحد مكونات الشخصية وبرغم اعترافه بخصوصية تلك الذات بالنسبة لكل فرد، كان يتتبع الأثر الذي يخطه المجتمع في الذوات الخاصة.

2_الضمير. هو العنصر الثاني من عناصر تكوين الشخصية عند فروم هو الضمير. والضمير هو المستودع الرئيسي للميراث الاجتماعي والثقافي في تكوين الشخصية، وليس فقط مستودع الميراث الأخلاقي حسبما ارتأى فرويد. ويشبه فروم الضمير بالقائد الذي يسلمه الإنسان زمامه، فالضمير يدفع الإنسان إلى أداء سلوك معين حسب الرغبات والأغراض التي يؤمن بها الشخص بوصفها رغباته وأغراضه، ويدفع الضمير الشخص بغلظة وقسوة إلى أداء سلوك معين ويمنع عنه السعادة واللذة ويجعل من حياته تكفير عن بعض الرذائل. وإذا كان الأنا الأعلى عند فرويد يتكون خلال المشاعر الأوديبية نتيجة توحد الأبن مع الأب فإن الضمير عند فروم يتكون من خلال التأثيرات الاجتماعية والثقافية، وهو خلال نشأته الأولى لا يتأثر بالأب وحده، بل يتأثر بالمبادئ الأخلاقية للأب و الأم معاً. ويرى فروم أن جانباً من ضمير الشخص يتكون بتأثير الأم، بينما ينشأ الجانب الآخر بتأثير الأب. والضمير الشخصي في بدايته هو مزيج من التفاعل بين تأثيرات الأم والأب، وتجارب الطفولة مع الآخرين. لكن تطور الإنسان ونضجه يحرراه من تأثيرات السلطة الوالدية ويصير كل فرد منا أباً و أماً لنفسه، إذ لا يظل ضمير الشخص أسير ضمير والديه، فنمو الشخصية يدفع بضمير الفرد إلى الاستقلال عن التأثيرات الوالدية ويصبح ضمير الشخص من صنعه وحده ومحصلة تجاربه.وإذا كان الضمير عند فرويد ضمير صارم يتخذ شكلاً واحداً، فإن فروم يقول بعدد من الضمائر تؤلف الضمير الكلي للشخص، فثم ضمير للعمل، وضمير للحب، وضمير للتسامح والعطف. ويرمز تأثير الأب في تكوين الضمير إلى مبدأ الواجب، ويعبر تأثير الأم عن مبدأ التسامح والعطف. وعلينا أن نقبل هذا التناقض، فتأثيرات الأب والأم ضرورية في تكوين الضمير. انظر [فرح،1989،ص51-52]

من الواضح أن الضمير الذي يتناوله فروم باعتباره أحد مكونات الشخصية إنما يمثل ضمير المجتمع لكونه مبني على القيم التي يتلقاها الفرد من مؤسسات التنشئة الاجتماعية وأهما الأسرة. وإذا كان واضحاً أن هذا الضمير مكون للشخصية فإنه كذلك مكون بالمجتمع، وهذا ما بدا واضحاً في عرض فروم السابق.

في كتابه "الإنسان من أجل ذاته" يتناول فروم الضمير بلغة فلسفية فيتحدث عن نوعين من الضمير يتخذان صوراً متناقضة، أطلق على الأول أسم الضمير التسلطي، وعلى نقيضه اسم الضمير الإنساني.

آ- **الضمير التسلطي:** وهو صوت السلطة الخارجية الذي تعمق في النفس، وهو صوت الآباء أو الدولة وصوت كل سلطة من السلطات في الثقافة السائدة. وما دامت علاقات الناس بالسلطات تظل خارجية من دون وازع أخلاقي، فنكاد لا نستطيع أن نتكلم عن الضمير، فهذا السلوك الذي هو مجرد سلوك موافق للغرض ينظمه الخوف من العقاب والأمل في الثواب، يعتمد دائماً على وجود السلطات ومعرفتها بما يفعله الفرد وعلى قدرتها على إنزال العقاب أو منح المكافأة. بمعنى أن اولئك الناس لا يشعرون بالذنب بل بالخوف. لكن في تشكل الضمير، فإن سلطات كالآباء والكنيسة والدولة والرأي العام تكون مقبولة شعوريا او لا شعوريا. وتصبح قوانين السلطة الخارجية وعقوباتها جزءاً من ذات المرء، إن جاز القول، وبدلاً من شعور المرء بالمسؤولية نحو شيء خارجه، يشعر بالمسؤولية نحو شيء في داخله، نحو ضميره. والضمير ناظم للسلوك أشد من خشية السلطات الخارجية، حيث أنه لا يستطيع الهروب من نفسه ومن السلطة التي تعمقت في ذاته وأصبحت جزءا من نفسه. والضمير التسلطي هو ما وصفه فرويد بالأنا الأعلى لكنه مجرد شكل واحد للضمير أو ربما مرحلة تمهيدية في نشوء الضمير. وبينما يختلف الضمير التسلطي عن الخوف من العقوبة والأمل في المكافأة، فإن العلاقة بالسلطة وقد خالطت الذات، ليست شديدة الاختلاف في النواحي الأساسية الأخرى. ووجه الشبه الأهم هو أن إيعازات الضمير التسلطي لا يحددها حكم المرء القيمي بل يحددها حصراً أن الأوامر والمحرمات تقضي بها السلطات.

إن محتويات الضمير التسلطي مستمدة من أوامر السلطة ومحرماتها، وقوته لها جذورها في الخوف من السلطة، والإعجاب بها. والضمير الجيد هو وعي إرضاء السلطة- الخارجية والمتعمقة في الذات- والضمير الآثم هو وعي إغضابها وينتج الضمير التسلطي الجيد إحساساً بالسعادة والأمن، لأنه يتضمن استحسان السلطة و القرب منها، والضمير المذنب ينتج الخوف والاضطراب، لأن العمل ضد مشيئة السلطة يتضمن خطر المعاقبة و خذلان السلطة.

ب-الضمير الإنساني: على النقيض من الضمير التسلطي لايعد الضمير الإنساني صوت سلطة تعمقت في ذاتنا نتوق إلى إرضائها ونخشى إغضابها ، وإنما هو صوتنا الموجود في كل كائن بشري والمستقل عن العقوبات والمكافآت الخارجية.

إن الضمير الإنساني هو استجابة شخصيتنا الكلية سواء لأدائها الوظيفي الصحيح أو لاختلال أدائها الوظيفي، وهو ، أي الضمير الإنساني، ليس استجابة لهذه القدرة أو تلك وإنما لجميع قدراتنا ، فالضمير الإنساني يشكل وجودنا البشري والفردي معاً. والضمير يحكم في أدائنا الوظيفي بوصفنا بشراً، والضمير conscience كما يدل جذر الكلمة con-scienat هو معرفة المرء بداخله، معرفة بنجاحنا و إخفاقنا الخاصين بكل منا في فن العيش. ولكن الضمير برغم أنه معرفة، فهو أكثر من مجرد معرفة في مجال الفكر المجرد. إن له خصيصة عاطفية، لأنه استجابة شخصيتنا الكلية لا مجرد استجابة عقلنا. ونحن في الحقيقة لسنا بحاجة إلى إن ندرك ماذا يقول ضميرنا حتى نتأثر به. تنتج الأعمال والأفكار والأحاسيس المفضلة إلى الأداء الوظيفي الصحيح، وكشف شخصيتنا الكلية شعوراً بالاستحسان الداخلي هو الصفة المميزة للضمير الإنساني الجيد . ومن جهة أخرى تنتج الأعمال والأفكار والأحاسيس الضارة

بشخصيتنا الكلية شعوراً بالاضطراب والقلق وهو الصفة المميزة للضمير المذنب. وهكذا فالضمير هو رد فعل أنفسنا على أنفسنا، إنه صوت ذواتنا الحقيقية الذي يدعونا إلى العودة إلى أنفسنا، إنه حارس سلامتنا، إنه اقتدار المرء على أن يضمن نفسه بكل ما يستحقه ذلك من عزة نفس، وكذلك أن يقول المرؤ نعم لذاته. وإذا كانت المحبة تعرف بأنها توكيد إمكانات الشخص المحبوب ورعايتها واحترام فرادة الشخص المحبوب، فإن الضمير الإنساني يمكن أن يدعى بحق صوت الرعاية المحبة لأنفسنا.

إن الضمير الإنساني هو التعبير عن مصلحة الإنسان الذاتية وسلامته، في حين أن الضمير التسلطي مشغول بطاعة الإنسان أو تضحيته الذاتية أو واجبه أو انضباطه الذاتي. وغاية الضمير الإنساني هو الانتاجية، ومن ثم السعادة ما دامت السعادة هي القرين الضروري للعيش الإنتاجي. انظر [فروم،2007،ص174-192]

3_السمات. العنصر الثالث من عناصر بناء الشخصية هو السمات وهذه السمات هي القوة الخلاقة في المجتمع وهي التي تطبع الذات بالطابع الاجتماعي. وهذه السمات هي العناصر الاجتماعية في تكوين الشخصية وهي تختلف حسب نوع العمل الذي يؤديه الشخص. وكذلك حسب نظام الحكم السياسي والتركيب الطبقي للمجتمع والوضع الطبقي للفرد، وليست هذه السمات فطرية ثابتة. إن أفكار الشخص لها قالب نفسي، وفي الوقت نفسه تعبر عن روح الثقافة إلى الحد الذي تستجيب فيه للحاجات الإنسانية. وكل مجتمع له عناصر خاصة تتداخل في تكوين الشخصية، وله سلوك يهدف إلى اشباع الحاجات، ومن ثم فالشخصية محصلة قوى نفسية اجتماعية بيولوجية. بيد أن البناء البيولوجي يظل كما هو حتى تغيره الضغوط الاجتماعية وتحقق عملية الاشباع، ويؤكد فروم أن كل ما يفكر فيه الناس أو يشعرون به، له جذوره في شخصيتهم. فالشكل العام لحياتهم العملية يشكل الشخصية وبمعنى آخر الأبنية الاجتماعية والاقتصادية تكون سمات شخصية أعضاء المجتمع. انظر [فرح،1989،ص52]

في أولى الملاحظات التي يمكن تسجيلها في بناء الشخصية عن إيرك فروم هي حضور المجتمع وتأثير البيئة الاجتماعية عند كل مكون من مكونات الشخصية الثلاث. فالذات التي اعتبرها تنظيم نفسي أكد فروم وظائفها النفسية الاجتماعية كما أكد بأن الذات ليست عنصراً وراثياً إنما تنشأ نتيجة التجارب الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها الفرد، والضمير بوصفه المكون الثاني من مكونات الشخصية هو كذلك اجتماعي الطبيعة إذ اعتبره فروم مستودع الميراث الاجتماعي والثقافي. أما السمات وهي القوة الخلاقة في المجتمع فقد اعتبرها فرم المسؤولة عن طبع الذات بالطابع الاجتماعي. وبالمحصلة العامة يمكن القول أن بناء الشخصية عند فروم بناء اجتماعي بكل حالاته يتقصى دور المجتمع، و مبلغ تأثير المحيط الاجتماعي- الثقافي في تركيب الشخصية الانسانية.

الاستنتاجات والتوصيات:

يمكن إيجاز النتائج العامة للبحث بما يلي:

1 تبين من خلال البحث أن إيرك فروم صاحب نظرية اجتماعية في الشخصية كشفت عن المكون الاجتماعي ومبلغ فعله في بناء الشخصية وعملياتها.

2 -كشف البحث عن مفهوم الشخصية الاجتماعية كما قدمها فروم باعتبارها نوع من الشخصية العامة التي تطبع أفراد المجتمع بطابعها العام على أساس من القيم والثقافة ونمط الحياة المشتركة.

3 تبين من خلال البحث في نظرية فروم أن طبيعة العلاقات الاجتماعية-الاقتصادية في تفاعلها مع الشخصية هي من نوع العلاقات الجدلية ذات التأثير المتبادل. و ليست من نوع العلاقات الأحادية أو الحدية.

4 تبين أن بناء الشخصية عند فروم ذو محتوى اجتماعي محض وذلك لحضور المكون الاجتماعي في كل من عناصر الشخصية كما قدمها فروم.

الخاتمة:

فروم إلى جانب كونه صاحب قضايا فلسفية تناولت الحرية واغتراب الإنسان في المجتمع الحديث، فقد قدم نظرية متكاملة في الشخصية الإنسانية حاول من خلالها إعادة الاعتبارات العلمية للمجتمع وفعله المحوري في تكوين الشخصية الانسانية، وفي سياق مراجعاته النقدية لنظرية التحليل النفسي استطاع فروم تجاوز نظرية فرويد بمنطق علمي برهن خلاله المبالغة في إعطاء الدوافع الفطرية والغريزة الدور الأهم في تكوين الشخصية الإنسانية. وأكد أهمية المجتمع والمحيط الاجتماعي في رسم الشخصية الانسانية على منوال المجتمع الذي تنشأ فيه.

وإذا كانت عبقرية فرويد قد تجلت باكتشافه عالماً جديدا في الشخصية الإنسانية وهو عالم اللاشعور أو اللاوعي، فإن عبقرية فروم قد أدركت ثقل المجتمع ومبلغ دوره في تكوين الشخصية وتحديد سماتها وخصائصها وقيمها واتجاهاتها. وقد استدل فروم بالخصوصية الاجتماعية–الثقافية في تجليها لدى كل من الشخصيات التي تنتمي لذات المجتمع والثقافة فتوصل لمفهوم الشخصية الاجتماعية التي تحمل من الخصائص والطباع والقيم ما هو عام ومشترك لدى أفراد المجتمع الواحد.

فالشخصية الاجتماعية هي تلك الخصائص العامة والسمات المشتركة والمؤسسة اجتماعياً على قيم وثقافة ونمط حياة كل مجتمع.ومن خلال تناوله لمفهوم الشخصية تحدث فروم عن دور العلاقات الاجتماعية–الاقتصادية وأهمية الدور الاجتماعي–الاقتصادي في تطبيع الشخصية في إطار علاقات جدلية فاعلة ومتفاعلة مع بعضها. وفي أكبر تجليات تأكيده على أهمية الجانب الاجتماعي في تكوين الشخصية يقدم فروم تصوراً محض اجتماعي لبناء الشخصية بحيث بين أن كل من الذات والضمير والسمات كعناصر مكوِنة للشخصية هي بالمقابل عناصر مكوَنَة بالمجتمع.

المراجع:

داود، ليلى، *الشخصية وعملياتها العقلية*، منشورات جامعة دمشق، 2003–2004.

عباس، فيصل، *أساليب دراسة الشخصية*، دار الفكر، بيروت، 1990.

فرح، محمد سعيد، *البناء الاجتماعي والشخصية*، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989.

فروم، إيرك، *الإنسان بين الجوهر والمظهر* ، ترجمة: سعد زهران، المجلس الوطني للثقافة والفنون ولآداب، الكويت، عالم المعرفة،العدد140، يناير 1978.

فروم، إيرك، *الإنسان من أجل ذاته*، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، دار علي مولا،2007.

فروم، إيرك، *الخوف من الحرية* ، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،1972.